ماذا يرسم الأطفال ؟

أ د. عادل كمال خضر

أستاذ علم النفس الإكلينيكي والتحليل النفسي

ووكيل كلية الآداب _ جامعة بنها

اهتم المتخصصون في مجال علم النفس الإكلينيكي والتحليل النفسي برسوم الأطفال ، وتساءلوا عما يقوم الأطفال برسمه من موضوعات ، وكيفيتها ، ولما هذه الموضوعات دون غيرها ؟ وهناك آراء متعددة للباحثين في إجابتهم على هذا السؤال .

حيث ترى ماكوفر أن الطفل عادة يرسم ما يعرفه وليس ما يراه ، ويتم الرسم في الغالب من الذاكرة حيث لا ينظر الأطفال إلى الأشياء التي يرغبون في رسمها ولكنهم يعتمدون على صورتهم الذكروية التي كونوها لهذه الأشياء ، ويبدو أن ظاهرة الشفافية Transparency التي تظهر في رسوم الأطفال تعتمد على رغبة الطفل في التعبير عما يعرفه ، فعن طريق استخدامه للشفوف ، يكشف عما تستره الأشياء ، فهو يرى من خلال السطوح سواء كانت شفافة أو غير شفافة ، فنراه يرسم السمك ظاهرًا من الماء ، وبذور الجوافة أو نواة البلح أو حبات الرمان ظاهرًا في رسمه لهذه الأشكال .

ويشير Bell إلى أن معظم الدارسين لفن الطفل يعتقدون أن الطفل يرسم ما يشعر به أكثر مما يراه أو يعرف أنه حقيقي ، فالطفل في رسومه يعبر عن حياته الداخلية من أفكار ومشاعر ورغبات ومخاوف .

كذلك يرى هامر Hammer أن الرسم الذي يقوم به المفحوص إنما هو تعبير عن عالمه الداخلي وسماته واتجاهاته وخصائصه السلوكية وقوة أو ضعف شخصيته .

أما Paget فيسلم بمبدأين عامين : أولهما : أن الأطفال يرسمون ليس لتصوير الطبيعة ولكن ليخبروا عما يهمهم .. وثانيهما : أن المناظر والموضوعات التي يقومون بتناولها بالرسم هي تفوق مهاراتهم الفنية ولذلك فهم مجبرون على استنباط رموزهم أو إشاراتهم من أجل توضيحها .

ويؤكد لوكيه على أن الطفل لا يرسم ما يفكر ولا يزعم أن يراه بالفعل ، بل يرسم العلامة أو الرمز الذي يتدفق تدريجيًا في عقله عن الموضوع ، ومثال ذلك ؛ فإنه إذا طلب من الطفل أن يرسم حقلًا من البطاطس فإنه سوف يرسم مستطيلًا مملوءًا بدوائر صغيرة ، وهذا لا يعني أن الطفل يتجاهل النباتات الخضراء الموجودة فوق سطح التربة ترجيحًا لكفة تصور عقلي للدرنات غير المرئية في التربة ، بل يعني بالأحرى أنه بالنسبة

للطفل تكون الفكرة الأولى المترابطة بالبطاطس هي الفكرة الملموسة ، أي الفكرة البصرية المعتادة فحسب ، أعني البطاطس بالمطبخ وليس البطاطس النامية كنبات في التربة .. إذن فما يمارسه هو علامة تنقل المقابل الوجداني الذي يربطه شخصيًا بالبطاطس .

وهكذا نرى أن بعض السيكولوجيين يعتقد أن الطفل يرسم ما يراه أو ما يعرفه ، وبينما يرى آخرون أن الطفل يرسم ما يشعر به ، يرى البعض الآخر أن الطفل يرسم ما يهتم به من أشياء ، غير أننا نرى أن الطفل ، أو الشخص القائم بالرسم ، إنما يرسم ما يثير انفعاله ، ذلك أن الطفل يرسم من بين ما يراه ما يعرفه ، ومن بين ما يعرفه ما يهتم به بدرجة أكبر ، ومن بين ما يهتم به ما يعبر عن أحاسيسه ومشاعره ، ومن بين ما يعبر عن أحاسيسه ومشاعره ما ينفعل به بدرجة أكبر ، من هنا نصل إلى أن الشخص القائم بالرسم إنما يرسم ما يثير انفعاله ، ودليلنا على ذلك هو أن الطفل يرى أشكالًا كثيرة ويعرف منها الكثير أيضًا غير أنه لا يرسم كل ما يعرف أو كل ما يرى ، ولكنه يرسم أشكالًا معينة انفعل بها أكثر من غيرها ، مثلًا يرسم تليفزيون أو عربة وذلك تعبيرًا عن حبه لهذه الأشياء ، والرغبة في التمتع بها ، أو يرسم أمًا معها ابنها ؛ كرغبة منه في أن يكون بجوار أمه ..الخ ، وهو في ذلك يقوم برسم تفاصيل معينة داخل كل شكل في حين يحذف تفاصيل أخرى ، ويتفاوت الأطفال في ذلك وفقًا لخبراتهم الانفعالية ومشاعرهم تجاه الأشكال التي يقومون برسمها .

وكذلك يتضح من خلال النسب والمنظور واللون أن الرسم إنما هو تعبير انفعالي عن الحياة الداخلية للطفل القائم بالرسم ، فمن حيث النسب نجد المبالغة في حجم بعض أجزاء الشكل على حساب أجزاء أخرى له ، ومن حيث المنظور نجد فروقًا بين الأطفال من حيث رسم الأشكال في أوضاع متباينة وبحركات مختلفة ، وفي أماكن متفرقة على صحيفة الرسم .

أما من حيث اللون فنجد فروقًا جمة بين الأطفال في اختيارهم للألوان التي يستخدمونها في تلوين تفاصيل الشكل ، حيث يميل بعض الأطفال إلى الألوان الحارة Warm Colors (وتشمل اللون الأحمر ، والأصفر ، والبرتقالي) في حين يميل البعض الآخر إلى استخدام الألوان الباردة Cold Colors (وتشمل اللون الأزرق والأسود والأخضر والبني) ، ويدمج آخرون الألوان الحارة مع الباردة في الشكل نفسه وبطرق متباينة تنفس عن انفعالاتهم الحقيقية تجاه موضوعات البيئة المختلفة والأحداث الحياتية التي يعيشون فيها ، ويجب على أي حال أن يتم تفسير دلالات الرسم في ضوء الطفل القائم بالرسم وفي إطار دراسة الحالة .

خالص تحياتي
أد. عادل كمال خضر
E. mail : adelkhedr@fart.bu.edu.eg